العددِ ١ 21A حزيران ٢٠٢٦
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

مقالة الكوارث الطبيعية والاوبئة في كتاب ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م)

م. د. رنا فتحي سعود
كلية التربية للبنات /جامعة بغداد/ قسم التاريخ

الملخص:
يعد المقال دراسة الكوارث الطبيعية والاوبئة في تاريخ ابن قاضي شهبة لتقي الدين ابي بكر بن احمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) رغم ان الكتاب من المصادر التاريخية للعصر المملوكي الا ان المقال يهدف الى ابراز دور المؤرخ في رصد الكوارث الطبيعية والاوبئة واثارها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام واعتمد ابن قاضي شهبة المنهج التاريخي في تسجيل الاحداث التاريخية وكان دقيقا في توثيق اثار الجفاف والسيول والقحط الجراد والفئران والاوبئة كالطاعون على المحاصيل الزراعية وتأثيرها على ارتفاع الاسعار ونفوق الثروة الحيوانية وتعطيل الصناعة وسائل النقل والتجارة كما ابرز العلاقة الوثيقة بين الظواهر الطبيعية وارتفاع الاسعار ونقص الايادي العاملة وخاصة في مصانع الصابون والطواحين بسبب تلف محاصيل السمسم والزيتون نتيجة مواسم الجفاف التي اشار اليها ابن قاضي شهبة ويقدم لنا صورة حية عن واقع المجتمع المملوكي ومعاناتهم اليومية ورغم اسلوبه المختصر دون الاسهاب في التفاصيل غير المهمة الذي يتطلب قراءة تحليله نقدية الا انه فيه مادة اساسية لدراسة التاريخ الاقتصادي كما يعد الكتاب مرجع متعدد الابعاد للباحثين.
الكلمات المفتاحية: ابن قاضي شهبة, الكوارث الطبيعية, الاوبئة, الزراعة, ارتفاع الاسعار

المقدمة:

يعد كتاب تاريخ ابن قاضي شهبه ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م من المصادر التاريخية لفهم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام اذ لم يقتصر على الاحداث السياسية بل تمكن من رصد الكوارث الطبيعية والاوبئة وكان دقيقا في توثيق الكوارث الطبيعية والاوبئة وتأثيرها على حياة المجتمع في قطاع الصناعة والزراعة والتجارة وسجل موجات الجفاف والقحط والسيول والجراد والطواعين موضحا اثرها على ارتفاع الاسعار وتراجع القطاع الصناعي ونقص الايدي العاملة مما يعطي القارئ صورة حقيقية عن المجتمع المملوكي.
وتهدف الدراسة من خلال روايات ابن قاضي شهبة الى معرفة اثر الكوارث الطبيعية والاوبئة على الاقتصاد والمجتمع وعلاقتها بالأسواق والتجارة وطرق النقل وتهدف الدراسة الى ان المصادر التاريخية مهمة في فهم طبيعة الازمات الاقتصادية والاجتماعية

حياة المؤلف:

هو تقي الدين بن قاضي شهبة الاسدي الشافعي اما لقبه نسبة الى قرية شهبة السوداء في نواحي الشام ولد في مدينة دمشق سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م واتصف بالعلوم والابداع حيث نشا في بيئة علمية اشتهرت بالعديد من العلوم والفنون كما تعلم القران وحفظه منذ صغره ودرس العلوم على عدد من علماء عصره فدرس الفقه الشافعي والتفسير والحديث والنحو وحفظ كتاب التنبيه للشيرازي(ت٦٨٥هـ) وألفيه ابن مالك (ت ٦٧٢هـ).
ورحل في طلب العلم الى القاهرة والقدس واطلع على مدارس علمية عديدة مما اتاح له كتابه التاريخ واتسم بالدقة في رصد الجوانب الاقتصادية توفي سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م بعد رحلة حافلة بالإنجازات العلمية.

اثر الكوارث الطبيعية في الزراعة وارتفاع الاسعار:

ان الكوارث الطبيعية هي التي تحدث بمشيئة الله سبحانه وتعالى دون تدخل الانسان في وقوعها
اولى ابن قاضي شهبة اهتماما كبيرا بالزراعة باعتبارها احد مقومات الاقتصاد في بلاد الشام اذ يذكر الكوارث الطبيعية ومنها الجفاف والقحط الى نقص المحاصيل الزراعية وارتفاع اسعارها
وتكررت موجات القحط والجفاف بين سنتي ٦٩٥هـ/١٢٩٦م اذ ارتفع اسعار الخبز سنة ٧٤٨/١٣٤٧م اذ كانت تباع قبل بدرهم واحد في حين ان المقريزي ذكر الجفاف العام دون ذكر تفاصيل اقتصادية اما ابن تغري بردي فاكد الجفاف في سوريا والمناطق الحدودية
وفي سنه ٧٥٤هـ/١٣٥٢م اجتاحت موجه القحط والجفاف بلاد الشام مما ادى الى ارتفاع منتوج القمح والتبن وهو من الاعلاف التي تتغذى عليه الحيوانات وفي سنة ٧٨٤/١٣٨٣م اصاب بلاد الشام قحط شديد مما دمر اشجار

الزيتون ومحصول السمسم بالتالي قل انتاج الزيت وبيعه في الاسواق وبيع سعر الرطل بستة دراهم بعد ان كان يباع بثلاثة بينما اكد المقريزي حدوث الجفاف في مصر والشام وابن تغري بردي ذكر الحوليات لتوثيق الجفاف.
وفي سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م اقتلعت عدد من اشجار اللوز بسبب السيل تقدر باثني عشر الف شجرة واشار المقريزي الى السيول في المدن الكبرى اما ابن تغري بردي لم يذكر شيئا وبسبب موجات تساقط الثلوج اصيبت ثمار الفاكهة بنسبة كبيرة من التلف سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م كما كان لهبوب الريح اثر في اقتلاع الأشجار ففي سنة ١٣٥٧/٧٥٩م حيث هبت ريح عاصفة في دمشق فاقتلعت الاشجار واهتم ابن قاضي شهبة بتسجيل اسعار المواد الغذائية وخاصة القمح والخبز لارتباطه بشكل مباشر بالأحوال الاقتصادية والمعيشية فكان لانحباس الامطار اثر كبير في قلة الانتاج الزراعي ففي سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م بيعت الغرارة من القمح بأكثر من مائتي درهم كما ارتفعت اسعار القمح سنة ١٣٩٦/٧٩٩م وعز على الناس شرائه اذ بلغت غرارة القمح في القدس اكثر من الف درهم واشار المقريزي الى الغلاء العام اما ابن تغري بردي ركز على تسجيل الحوليات.
ويعد الدبس من المواد الغذائية الصحية التي يعتمد عليه سكان بلاد الشام فان موسم القحط والجفاف ادى الى تدمير اشجار العنب سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م مما ادى الى ارتفاع اسعار الدبس فبيع الرطل بثلاثة دراهم.
كما تراجع صادرات البلاد الشامية لمياه الورد سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م بسب الجفاف والقحط بسبب ارتفاع درجة الحرارة وقلة المياه, ادت موجات القحط والجفاف المتكررة الى تراجع الانتاج الزراعي في بلاد الشام الذي انعكس على ارتفاع اسعار القمح والتبن وتكرر القحط سنة ١٤٦٨/٨٧٣ حيث سجلت اسعار الزيتون اعلى مستوى في العهد المملوكي فبيع الرطل بعشرة دراهم ورطل السيرج بخمسة عشر درهما ولم يذكرها المقريزي او ابن تغري بردى.
يتضح مما سبق ان العلاقة بين الكوارث الطبيعية والاسعار كان لها اثر في تدهور القطاع الزراعي وصعوبة توفر المواد الغذائية للسكان وان ابن قاضي شهبة كان اكثر تفصيلا في تسجيل الاثر الاقتصادي والاجتماعي للكوارث الطبيعية في بلاد الشام اضافة الى ارتفاع الاسعار ونقص الايدي العاملة.

الطواعين والاوبئة واثرها الاقتصادي:

كان لتفشي الطواعين والاوبئة في بلاد الشام في العصر المملوكي اثر كبير على الحياة الاقتصادية فلم تكن مجرد احداث عابرة بل تركت اثار كبيرة على مختلف القطاعات ففي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م نفقت الحيوانات ومنها الابقار في البلاد الشامية مما اثر في قلة الالبان والاجبان ووسائل النقل كبيرة وارتفعت اسعارها.
ارتبطت الصناعات بالمحاصيل الزراعية حيث سجل ابن قاضي شهبة اثر الطاعون على نقص الايدي العاملة وتراجع الانتاج اذ تراجعت صناعة الصابون لقلة وجود الزيت في بلاد الشام سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م بسبب تفشي الطاعون وتوقفت طواحين الزيت عن العمل وهرب العديد من الحرفيين في هذا المجال.
كما كان لظهور الفئران في بلاد الشام اثر على المحاصيل الزراعية مما ادى الى تلف العديد منها ففي سنة ٧٨٤هـ/١٣٤٧م اصيب محصول القمح والشعير بنقص حاد في كميته واكل سنابله مما ترك اثار في اسعاره فبيع القمح بثلاثمائة درهم والشعير بمائة وخمسين.
وتكرر تفشي الطاعون سنة ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٨م مما تدنى محصول القمح وارتفعت اسعاره اذ بيعت الست اواق بدرهم .
ادى انتشار الجراد الى تدمير المحاصيل الزراعية سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م مما ادى الى نقص المعروض الغذائي وارتفاع الاسعار في الاسواق وخاصة القمح واشتد اثره بين غزة والفرات وذكر المقريزي موجه الجراد اما ابن تغري بردي اكد على الحوليات.
يتضح مما سبق ان الاوبئة كانت مرتبطة مع ضعف الانتاج وقلة الايدي العاملة مما ادى الى تدهور مستوى المعيشة

اثر الكوارث الطبيعية في التجارة وطرق المواصلات:

شهد العصر المملوكي العديد من الكوارث الطبيعية التي كان لهذه الظواهر اثر مباشر على التجارة وطرق المواصلات ففي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٥م جاء سيل في مدينة حماة مما اعاق حركة المسافرين والتجار وقتل عددا كبيرا منهم كما سحب الامتعة مما ادى الى الركود التجاري بالمنطقة وارتفاع اسعار السلع التجارية لقلة وجودها.
واستغل التجار سنوات القحط والجفاف وانحباس الامطار فقد عز منتوج القمح في بلاد الشام فاحتكروا المواد الغذائية وبيعت للناس بأسعار مرتفعة مما اثر في توفرها في الاسواق وذلك سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م وسنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦ فبيعت العشر اواق بدرهم وارتفعت اسعارها سنة ١٣٩٦/٧٩٩م فبيعت الخمسة اواق بستة دراهم.

وكان للسلاطين المماليك دور حازم في الحد من الضائقة الاقتصادية ففي سنة ١٣٨٣/٧٨٥م بعث السلطان برقوق بالعمال لإيصال الماء من العروب الى القدس كما كان له دور في الحد من ارتفاع الاسعار بسبب القحط والجفاف ففي سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م اشتد الغلاء في بلاد الشام فبيع رطل الخبز بثلاثة دراهم فلما بلغ السلطان برقوق اصدر مرسوم لنواب بلاد الشام بأن يباع الرطلان بدرهم وامر بنقل الغلال من مصر وتوزيعها على بلاد الشام.

يتضح ان الكوارث لم تؤثر على الزراعة بل اثرت على التجارة وطرق المواصلات مما ادى الى ارتفاع الاسعار وضعف حركة الاسواق.

الاستنتاجات

يتضح من خلال دراسة كتاب تاريخ ابن قاضي شهبة ان بلاد الشام في العصر المملوكي تعرضت الى العديد من الكوارث الطبيعية والاوبئة وكان لها اثر واضح على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكان لمواسم الجفاف والقحط والسيول والجراد اضافة الى الطاعون والاوبئة اثر في تدهور القطاع الزراعي وارتفاع الاسعار ونقص الايدي العاملة مما انعكس على تدهور الصناعة والتجارة.

كان القاضي ابن شهبة دقيق في رصد الاحداث وربطها بتدهور المستوى المعيشي للسكان مما جعل كتابه مصدرا لمعرفة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام في العصر المملوكي كما قدمت رواياته صورة حقيقية عن معاناة المجتمع المملوكي في ظل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانتشار الاوبئة وكانت اكثر فئة متضررة هي الطبقة الفقيرة.

التوصيات:

ضرورة الاستفادة من روايات المؤرخ ابن قاضي شهبة في بناء خرائط زمنية تبين تواتر الكوارث الطبيعية والاوبئة وربطها بالتحولات الاقتصادية ولابد من التركيزعلى اثر الازمات على الطبقات الفقيرة واصحاب المهن ومنهم الفلاحين وانعكاسها على الحياة اليومية والمعيشية وتشجيع الدراسات المستقبلية ان تحلل اثر الكوارث الطبيعية والاوبئة في تشكيل البنية الاقتصادية لبلاد الشام في كل العصور التاريخية.

المصادر الاولية

- ابن حجر العسقلاني, احمد بن علي بن محمد(ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)
انباء الغمر في انباء العمر في التاريخ, دار الكتب العلمية , بيروت, د. ت.

-ابن حجي, شهاب الدين احمد(ت ٨١٥هـ/١٤١٢م) تاريخ ابن حجي, علق عليه يحيى عبد الله الكندري , دار ابن حزم , بيروت, ٢٠٠٣م.

-السخاوي, محمد عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)
وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام, تحقيق بشار عواد معروف , مؤسسة الرسالة , بيروت , ١٩٩٥م.

-ابن عبد الباسط, خليل بن شاهين (ت٩٢٠/١٥١٤م)
نيل الامل في ذيل الدول, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, المكتبة العصرية , بيروت,٢٠٠٢م.

-ابن قاضي شهبة, ابو بكر احمد(ت٨٥١/١٤٤٧م)
: تاريخ ابن قاضي شهبة, تحقيق عدنان درويش, المعهد العربي العلمي الفرنسي للدراسات العربية , دمشق, د. ت.

-ابن كثير, اسماعيل بن عمر (ت٧٤٤هـ/١٣٧٣م)
البداية والنهاية, تحقيق مصطفى بن العدوي, دار ابن رجب, د. ت
-المقريزي, احمد بن علي(ت٨٤٥/١٤٤١م)
السلوك لمعرفة دول الملوك, تحقيق محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , بيروت,١٩٩٧م.
الرسائل الجامعية:

الشوامرة , نافذ محمد عبد ربه
الكوارث الطبيعية واثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٥٠-١٥١٧م), رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة الخليل,٢٠١٢م.